المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

الأفعال الكلامية (البوحيات) في ديوان طيور تحلق في المصيدة

Verbal acts (Albuhyat) in the Diwan of birds flying in the trap

إعداد

ريما نقيمش الجهني

باحث ماجستير، بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والترجمة،
جامعه جده، المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار يونيه ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

الأفعال الكلامية (البوحيَّات) في ديوان طيور تحلق في المصيدة

ريما نقيمش الجهني

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعه جده، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : reema.juhani88@gmil.com

الملخص :

طالما ظلّ الفعل الكلامي عنصراً مهماً في الكثير من الأعمال التداولية، كونه يمثل كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، يعتمد على أفعال قولية تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، وبما أن العملية البحثية هنا تتمحور حول التلفظ الأدبي والتلقي وهما ركنا العملية الإبداعية فهذا يعنى أن نخصص النظر في زمرة معينة من هذه الأفعال الكلامية في ديوان شاعر له من الإبداع ماله، (جاسم الصحيح) وبعيداً عن المواربة وإجبار النص أن يخضع لتلك التنظيرات الغربية التي مازال نقدنا العربي يقتات عليها، سنترك للنص الحرية المطلقة في أن يقول كلمته.

فالفعل الكلامي نواه مركزية، في قصائد الشاعر من الناحية التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازيه، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، كالرفض والقبول، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى التأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء ما.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، البوحيَّات، طيور تحلق في المصيدة، جاسم الصحيح..

Verbal acts (Albuhyat) in the Diwan of birds flying in the trap

Rima Naqimesh Al-Juhani
Department of Arabic Language and Literature, College of Languages and Translation, University of Jeddah, Saudi Arabia.
Email: reema.juhani88@gmil.com

Abstract

As long as the verbal act remains an important element in many deliberative works, as it represents every verbal based on a formal semantic system of achievement and influence, depends on verbal acts that seek to achieve achievement purposes and influential goals related to the reactions of the recipient, and since the research process here revolves around literary pronunciation and reception, which are the pillars of the creative process, this means that we devote consideration to a specific group of these verbal acts in the Diwan A poet with creativity and money, (Jassim Al-Sahih) and away from equivocation and forcing the text to submit to those Western theories that our Arab criticism still feeds on, we will leave the text absolute freedom to say its word.

The verbal act is a central nucleus, in the poet's poems in terms of deliberativeness, and its content is that each verbal is based on a semantic system of achievement and influence, and is a grammatical material activity that begs verbal actions to achieve the purposes of its achievement, and influential goals related to the reactions of the recipient, such as rejection and acceptance, and therefore it aspires to be an influential act, that is, aspires to influence the addressee, socially or institutionally, and then accomplish something.

keywords: verbal verbs, Albuhyat, birds flying in the trap, Jassim Al-Sahih.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا ، ثم أما بعد،،

فإن الأفعال الكلامية تُعد من أهم عناصر الأعمال التداولية، كونها تمثل كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ولذا فقد وقع اختياري على هذه الدراسة؛ للكشف عن تأثير الأفعال الكلامية، وبيان أنماطها .

أسباب البحث وإشكاليته:

بالوقوف على المادة الأدبية موضوع الدراسة والأسباب الداعية إلى اختيارها دون غيرها؛ فهي –كما قلنا– شعر جاسم الصحيّح ، والذي تجلت فيه الأفعال الكلامية بصورة واضحة، و لم يتناول أي بحث (على حد علمي) الأفعال الكلامية في شعر جاسم الصحيّح بصفة خاصة، أو حتى دراسته من منظور المنهج التداولي بصفة عامة.

فجاء تخصيص شعر جاسم الصحيّح بدراسة تداولية تتناول وفق نظرية أفعال الكلام؛ لتميّز أعمال الشاعر جاسم الصحيّح.

التحقق من إسهام الأفعال الكلامية في تحليل المنجز الشعري وملامسة قصديات النص والمؤلف ورصد تأثير أنماط الأفعال الكلامية التعبيرية في ديوان طيورٌ تحلق في المصيدة .

أهداف البحث وأهميته:

الكشف عن تأثير الأفعال الكلامية البوحّية والوقوف على أنماط الفعل الكلامي في ديوان الشاعر جاسم الصحيِّح. لرصد تجربة الشاعر، التي قادته إلى استعمال نمط معين من الأفعال الكلامية.

منهج البحث:

المنهج الوصفي القائم على التحليل، من خلال استقراء الأفعال الكلامية في ديوان طيور تحلق في المصيدة ووصفها وتحليلها وفق معطيات الدرس التداولي، ومن ثم التوصل لأبرز النتائج.

الدراسات السابقة:

ظهر عدد من الدراسات الأكاديمية التي تناولت نتاج الشاعر جاسم الصحيّح، منها :

- جماليات التوظيف الاستعاري في شعر جاسم الصحيح، سعيد سهمي، مجلة الجوبة، سكاكا، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، العدد٥٩،(٢٠١٨م).
- ظاهرة التمرد في ديوان (كي لا يميل الكوكب) لجاسم الصحيح، حمد البليهد، مجلة الآداب، جامعة ذمار، اليمن، العدد١٢، (٢٠١٩م).
- القرآن الكريم في شعر جاسم الصحيح، بلاوي رسول، وحمادي عبد العزيز، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة السلطان قابوس مج ١١ ، العدد٢، (٢٠٢٠م) .
- صورة العراق في الشعر السعودي المعاصر (شعر جاسم الصحيح) أنموذجًا، سها صاحب القريشي، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة دواة، العدد ٢٧، ٢٠٢١م.
- شعرية السؤال في شعر جاسم الصحيح، فارس سعود القثامي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصية، ٢٠٢٣م.

هذا، ولم تتعرض تلك الدراسات إلى ديوان (طيور تحلق في المصيدة) وهو مدونة الدراسة الحالية، بالإضافة إلى أن كل الدراسات السابقة بعيدة عن نظرية الأفعال الكلامية والدرس التداولي .

حدود البحث:

ديوان: طيور تحلق في المصيدة، ويقع في ٨٨٩ بيتاً.

التعبيريات (البوحيات): Expressives

يتمحور غرضها الإنجازي في التعبير عن الموقف النفسي، حيال المحتوى المعنوي الذي تعبر عنه اللغة الحاملة لذلك المعنوي، وليس لهذا معنى المطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات التي تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات وهذا ما يسميه سيرل: الاتجاه الفارغ، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية. وتحقق المحتوى القضوي سلفاً ويدخل في هذا الصنف أفعال: الشكر، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب.[١]

ولهذه الفعال الكلامية قوة في التعبير الظاهري المتضمن **Locutionary Force«القوة التعبيرية:»** في جملة الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات ذات معنى محدد في موقف محدد.

ولكننا هنا أمام محاكمة للكلام بعيدة عن التصنيف النقدي الحازم الذي ينظر إلى الفعل في كل الحقول الدلالية، لذلك سنبحث عن البوح الشفيف الحامل للشعور النفسي لدى الشاعر والمثال هنا من قصيدة (الوقتُ يَضْبِطُهُ فؤادي المُغْرَمُ):

الوقتُ يَضْبِطُهُ فؤادي المُغْرَمُ فالساعة الآن:اثنتان و«مريم»
الساعة الآن: اثنتان ووجهها مِنْ كلّ ناحية علـــيَّ يُسَلِّمُ
والليلُ يَقطِفُ كوكباً من صوتها فكلامها بالنّيْراتِ مُنَـــغَمُ
والشّعرُ يَزْعَمُ أَنّ كلّ بُحورِهِ تُبنى على ضَحِكَاتِها وتُنَـظّمُ
وفمي يُزَخرِفُ نَفسَهُ لحِوَارِها حتّى يكاد على فمي ينمو فمُ[٢]

١ – نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعية، مصر، ٢٠٠٦، ص ٣١.

٢ – الديوان١٦٤.

الفعل الكلامي	الهدف الإنجازي	البعد التأثيري
يَضْبِطُهُ/ يُسَلِّمُ/ يَقطِفُ/ يَزْعَمُ/ تُبنى/ تُنَظّمُ/ يُزَخرِفُ/ يكاد/ ينمو	البوح والتعبير عن الشعور الداخلي	وصف الحالة الشعورية والوعي الداخلي

فالأفعال الكلامية الظاهرة في القصيدة (يَضْبِطُهُ/ يُسَلِّمُ/ يَقطِفُ/ يَزْعَمُ/ تُبنى/ تُنَظّمُ/ يُزَخرِفُ/ يكاد/ ينمو) ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم النفسي الذي تخيله الشاعر في مخاضه الإبداعي، في تلك الحالة من الحب الافتراضي في لحظات شعرية تحتاج مثل هذه الأفعال الكلامية كناقل للمعنى من أجل التأثير فيه، وعليه فالجوهر يتمحور بالأساس حول ما يفعله الفعل الكلامي المنطوق من الشاعر والتعابير التي نطق بها (أفعال الكلام)، وتصبح اللغة هنا لغة تقنية يجب التعامل معها بهذا المنظور، ومعنى كونها لغة تقنية أنها صارت اصطناعية تتحكم فيها آليات التخاطب والتواصل المعاصرة، ولا يمكن أن نبرر ظهور نظرية أفعال الكلام ونظرية الأفعال الإنجازية إلا في ضوء عجز البلاغة القديمة والنحو القديم عن مسايرة سيادة عصر تكنولوجيا المعلوماتية، "وغزو الفضاء الثقافي المحلي بواسطة هذه التقنية المفروضة، فلم يعد مطلوباً إلينا أن نتلقى الخطاب كما صاغه غيرنا، وإنما نحلله، وقد اعتقد أن أفعال الكلام والتداولية بوجه عام أصبحت قدراً محتوماً لأي لغة محلية ووطنية حتى تفهم وتتواصل مع ما يهدد كيانها.[1] فهي نية المتحدث في التعبير أي محاولة المتحدث إنجاز غرض تواصلي معين، أو أثر أو نتيجة التعبير بالنسبة للمستمع.

١ –جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٨، ص ٥.

من هنا يحق للمتلقي ويسمح للناقد بالخروج من عباءة الصدق والكذب فهي مسألة لم تعد تعني شيئاً الآن في مدى قدرة الشاعر على نقل الواقع أو الخيال فالناظر إلى هذا الانحراف الإبداعي لدى الشاعر لا يتردد مطلقاً في تأويلات وإن كانت مخادعة في معنى تراءت له أو اصطنعها في مخيلته تماهياً مع هذا الموقف العميق في الحب، القلب يضبط الوقت، والليل يقطف والشعر يزعم، والأفعال الكلامية تنقل بوحاً قد يكون مغايراً كلياً لم ظهر على البنية السطحية للنص. وتنهض على المبادئ التضمين في القول (الإنجازي) من خلال التوسل بالوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وللقوة الإنجازية دليل يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم حين نطقه الجملة، كالنبر والتنغيم وصيغ الفعل. وعلى الرغم من تعدد الشروط لتحقق الأغراض الكلامية بحسب سيرل، فمعظمها لا تتحقق إلا عبر استحضار عوامل أخرى تداولية توفر إمكانية القيام بأغراض كلامية بشكل سليم، مما يستوجب تجنب مختلف المعوقات المادية والمعنوية التي من شأنها أن تحول دون قيام حوار سليم[١]، والحوار المقصود هنا التخاطب بين طرفين، وفي الإبداع يكون هذا التخاطب قائماً على قصدية للمؤلف، وتلقي المستقبل لتلك القصدية، وقصدية الشاعر المرسلة في نصه واضحة في تلك الأفعال البوحية الحارة في قوله:

الساعة الآن: اثنتان وحيرة ... كبرى، أكادُ إزاءَها أَتَصَنّمُ
يا رحلة المعنى ببحر قصيدتي ... أغوى سفينتنا المجاز المُبْهَمُ
لا تُسْلِمِيني للضباب؛ فلهفتي ... بنتُ الحقيقة، وانتظاركِ طَلْسَمُ
إنْ خانني فيك الكلامُ، وأجْهَضَتْ ... لغتي، فإنّ مشاعري تَتَكَلّمُ
فأراكِ في أحلى القصائد متنها ... وأرى سِوَاكِ لزوم ما لا يلزمُ
في الحُبِّ.. لا يُخشَى لسان أبكم ... لكنّما يُخشَى الشعور الأبكم[٢]

١- الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،٢٠٠٤ ، ص ١٢٦.

٢ – الديوان ١٦٤.

الفعل الكلامي	الهدف الإنجازي	البعد التأثيري
أَتَصَنّمُ/ أغوى/ لا تُسْلِمِيني/ وأجْهَضَتْ/ تَتَكَلّمُ	إظهار الحالة التي وصل إليه الشاعر	إيصال التصور التخييلي
فأراكِ/ وأرى/ لايلزمُ/	توضح الرؤى الكامنة في النفس	مشاركة المتلقي في الرؤيا
لا يُخشَى/ يُخشَى	تأكيد الحيرة والقلق الروحي	طلب تعاطف الآخر

إن نظرية "أفعال الكلام تؤكد على أن العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، وإنما تختلف حسب عدة عوامل، منها السياق، بالإضافة إلى ظروف وعوامل أخرى تتدخل في تحديد دلالة اللفظ وقوته، ومن ثَمَّ فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب. وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية".[١]

فالفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلم بل يرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي. عند أوستين نجد ذلك الاحتساب للغة أنها تستخدم لتصف العالم وما هي إلا أداة رمزية تشير إلى الواقع، والوقائع الخارجية عبر الفعل التأثيري: فهو الأثر الذي يُحدثه الفعل الإنجازي في المخاطَب، فيتسبب في نشوء آثار في المشاعر والأفكار، كالإقناع، والتضليل، والإرشاد، والتخويف[٢]، وربما تقترب الأفعال الواردة في القصائد من تحقيق تلك الأغراض الإنجازية وهذا شاهد عليها:

١ – نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م.، ٧. وينظر: – دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، الدكتور أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.، ١٠٨.

٢ – التداولية اليوم – علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة الدكتور سيف الدين دغفوس، والدكتور محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.، ٢٦٧

أما (الجدار) فلم يكن
إلا الذين يحاولون فراقنا
ولسوف ينهدمون في وهج الهيام
ما من فراق بيننا
و(الكنز) موعدنا
بما يحويه من ذهب الدوام
ما من فراق بيننا
ما ثم شيء (لا نطيق عليه صبرا)
فاعقدي كفي بكفك
مثل مبعوثي سلام[١]

إن الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار لكنها ليست الوظيفة الوحيدة للعبارات فهي توظف في وصف حال الوقائع وصفاً إما يكون صادقاً أو كاذباً من باب المغالطة الوصفية فالفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية، ويبين أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معينة، كالأمر أو النهي أو التنغيم. ولكن هذا كله لا يكفي بقدر ما تحمل تلك الأفعال من دلالات مرجعية تحيل إلى تعالق نصي مع مرجعيات فكرية لدى الجمهور، فالأفعال التي جاءت حاملة لدلالات دينية قد تم توظيفها في مواقف تنقل التسليم بقضاء الله وقدره، والنص السابق يثبت أهمية الأفعال الكلامية في كونها جسراً لحمل المعاني، فالأفعال الكلامية أفعال كثيرة يستحيل حصرها في مجموعات تصنيفية محددة.[٢]

---

١ – الديوان: ١٣٩.

٢ –عكاشة ،محمود: النظرية البراغماتية اللسانية التداولية "دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، ط ١ ، ٢٠١٣ م، ص ١٠٨.

إن معالجة شعر جاسم الصحيح في سياق استثمار التداولية، باعتبارها أهم الآليات الفعالة في الدراسات اللسانية، متناولةً أهم ركيزتها المتمثلة بالأفعال الكلامية والتمركز حول الأفعال البوحية أو التعبيرية الإخباريات. كونها تحمل سمة بارزة في إبانة المعاني العميقة والمقصودة بعد إسنادها القضوي وكشف محتواها وما يزعمه المتكلم في إنجازها رسائل شتّى، عبر استقصاء الشواهد الشعرية للشاعر والوقوف عندها، باختيار باقة منها عرضاً وتحليلاً كما يرى سيرل، استعانة بالمنهج التداولي للأفعال الكلامية. سعياً إلى عرض تفسير دقيق صائب لعملية التخاطب، إثر إخفاق الاتجاه البنيوي على هذا الصعيد، هو التوجه البحثي المقصود من رصد تلك الأفعال التي تعمدت البوح عن مكنونات النفس، وما أكثرها في شعر جاسم الصحيح من بوحيات:

تَدَاعَى المَدَى عن كوكب يتهـــــالكُ ... غَداةَ لَوَى جِيد المجــرّة "فَاتِكُ"

وما إن هَوى حتَّى هَوَتْ من زمانِــهِ ... وكل زمانٍ للقوافي ممـــــالكُ

فيا سافكاً من عبقريّ النُّهى دَمــــاً ... ألَمْ تَتَهيّبْ من دمٍ أنتَ ســافِكُ؟!

وهيهات! لم تقطعْ عليه طـــــريقه ... فها هُو عبرَ الأبجدياتِ ســالكُ

قطعتَ على الفُصْحَى طريقَ حضارةٍ ... أشاعتْ بأنّ الجَهل مِثلكَ فاتكُ [1]

فالبوحيات أو الإخباريات للإرشاد والتقرير لما تراءى للشاعر والأجواء النفسية التي ألمَّت به، وطرح رؤاه ومشاعره المكبوتة، وشعوره بالحزن والحسرة على شاعر كان عموداً للشاعر العربي؛ فالأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد دلالية، وترجع هذه فاللغة ليست بنى ودلالات فقط، بل هي أيضاً أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي أغراضاً، فهو عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام، فلقد نشأت في حضن نشاط بحث الملفوظية، التي تشير إلى عنصر الذاتية

١ – الديوان: ص٩.

في الخطاب، ضمائر، إحالات على الزمان، إحالات على المكان... ، واللغة تتحقق على ثلاثة أشكال؛ الأول شكلها الكلّي بعدّها سجلا من الأدلة، والثاني بعدّها نظاما تركب فيه هذه الأدلة، والثالث على نشاط يتحقق من وقائع الخطاب؛ وهو موضوع تحيل الخطاب الشعري.

فالناظر إلى حركية الأفعال الكلامية والضمائر في القصائد وهذه واحدة منها على سبيل المثال لا الحصر

ولو ذُقتَ يوماً جرعةً من بيانهِ ومَسّكَ ذَيّاكَ النبيذُ المُبارِكُ
وآنسْتَ طعمَ الغيبِ في معجزاتهِ وتاهتْ بذاكَ الطعمِ منك المدارِكُ
لما هَتَكَتْ يُمناكَ من ذمّة الرُّؤى ومن حُرُماتِ الشعرِ ما أنتَ هاتِكُ
أحقّاً سلبتَ العبقريّة تاجَها وما اهتزّ من إحدى يديك التماسكُ؟!
فتَبّت يداك العبقريّتان ولا انثنتْ أصابعها من حولها تتشابكُ![1]

فالفعل الكلامي لدى الشاعر مرتبط بالعرف الأدبي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يتمركز على قصدية المتكلم فقط، لذلك تعد نظرية الأفعال المباشرة هي المسار التحليلي، لأن القول هو العمل هو التلفظ هو الإبداع؛ ولأن القول باعتباره شكلاً من البوح عن المسكوت عنه لكن بطرائق تقوم على التمويه والإخفاء، و هذا يعني إنجاز عملية التأثير اعتماداً على القصدية من تلك الأفعال فهي التي تضم المشاعر والأحاسيس، أما اللغوية فإنها المتحكمة بتحديد أشكال الأفعال الكلامية ومعانيها "يكون القصد صورة جزئية من القصدية والمتمثل في الجانب اللغوي منها".[2]

---

١ –الديوان ص١٠.

٢– مفتاح محمد: تحليل النص الشعري، استراتيجية التناص، ط ٣. المغرب. المركز الثقافي العربي. ١٩٩٢، ص١٦٥.

وبهذا يتبين أن التعبيريات الاجتماعية تتصل بوجدان المتكلم، لكنها تقتضي غالباً مشاركة من المتلقي. ومنها التعبيرات النفسية التي تخص وجدان المتكلم وتعبر عن حالته النفسية ومشاعره تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص.

ولا يكفي شرط الإخلاص فحسب فليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة كما هو في تصنيف سيرل الجديد. ولا توجد علاقة بين الكلمات والعالم في التعبيريات؛ فالكلمات أفعال تعبيرية منجزة تعبر عن شعور الطنطاوي في كتاباته السابقة، وشرط الإخلاص يتحقق فيه عن طريق الصدق. والشاعر في هذه القصيدة صادق في مشاعره ولا يسعى في نظمه إلى أي نوع من أنواع المطابقة مع الخارج النصي أو الداخل النصي:

يتعدد فيك الواحد
من أقصى الحسن إلى أقصاه
فحيناً
يجلوك الرب على هيئته في صورة لاهوت
حيناً آخر
تبدعك الأسطورة في (بابل)
يملؤك السحر
ثم تعودين إلى هيئتك الأولى
حين تجيء بك اللذة في نكهة (بسكوت)[1]

ويعبر هذا الصنف من الفعال الكلامية عن حالة سيكولوجية تعبيراً يتماشى وشرط الإخلاص. وعدم وجود اتجاه المطابقة راجع إلى أنها لا تقصد مطابقة العالم للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم، بل القصد هو صدق القضية ووظيفة هذه الأفعال هي ضبط سيرة وسلوك المتكلمين الاجتماعي، وتقوم هذه الأفعال بضبط مكانة

١ – الديوان: ص١٢٨.

أقوالنا داخل الحديث أو الحوار.[١] وبناءً على ما سبق يعترف أوستين نفسه بصعوبة التصنيف بسبب تعدد الأفعال وتداخلها مع بعضها البعض، ويقر بأن تصنيفه غير نهائي. العلم أن الأفعال الكلامية لا يحصى عددها مع تداخلها الشديد، ومن ثم جاءت صعوبة التصنيف[٢]. فنجده اعتمد في تقسيمه على وظيفة المنطوق وهذا ما يؤكده خالد ميلاد فيقول: "سرعان ما تبين هشاشة هذا الأفعال الكلامية الإخبارية، تربط المتكلم بحقيقة ما يقال. الغرض من هذه الأفعال هو التحدث عن شيء ما قد يكون قضية أو مشكلة. تتضمن الوظيفة التصريح بشيء، والإبلاغ، والإخطار، والشرح، والدفاع، والرفض، وغيرها"[٣]. ولعل ما يثبت هذا التداخل بين الأفعال الكلامية لاكتمال خطابية النص يسمح لنا بالعودة مرة أخرى إلى نص رثاء المتنبي حين تجتمع تلك الأفعال الكلامية لتشكل اللوحة المشهدية للنص:

تصعلكتَ؟! حاشا التصعلُكُ إنما تصاغرتَ عن أنْ يَدّعيك الصّعالكُ!

ولم يقتنعْ أنّ الحياةَ استعارةٌ ولكنها عنوان ما هو مالكُ

فإن لم يشاركْ ربّهُ الخلقَ إنّه بتسيير هذا الخلقِ دوماً مشاركُ

مشَى حافي الأفكار في خاطرِ الدُّنى جريح الرؤى من فرط ما الكونُ شائكُ

تنبّأ من حيث النُّبُوة فكرة نجادلُ في بُرهانِها ونُماحِكُ

١- يحياتن محمد، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د.ط، د.ت، ص – ٢٥

٢-مدور محمد، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، دراسة تداولية، أطروحة دكتواره مخطوط إشراف جودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٣ -٢٠١٤ م، ص ٨ .

٣-بيرم، عبد اللّه: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي. عمان: دار مجد لاوي. ٢٠٠٩، ص٩٠، وينظر أيضاً: بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزيرة: الاختلاف. ٢٠٠٣، ٥٢.

وقد تحققت القوة الإنجازية في نقل الحقائق بأمانة، وكان الشاعر صادقاً في تقريره؛ لأنه يصف واقعاً محدداً عاشه من موت الشعر وليس موت المتنبي هنا هو المقصود ولمسه في مجتمعه آنذاك. فقد وظّف أفعال الأقوال المضارعة، لينقل لجمهور المتلقين مشاهد محددة تمثلت بانتهاء زمن شعر ديوان العرب ويمكن للقارئ أن يتخيّل مدى ألم الشاعر ومعاناته؛ إذ يحكي عن الوضع الجديد الذي فرض على المجتمع.

الفعل الكلامي	الصيغة	الهدف التوجيهي	البعد التأثيري
تصعلكتَ / يَدّعيك / ولم يقتنعْ / لم يشاركْ /مشَى تنبّأ /نجادلُ / ونُماحِكُ	مضارع	رسم ملامح ما قدم المتنبي للشعر من ثقافة	تصوير ملامح الواقع الحاضر من تردي ملامح الشعر

إن الإفصاحات أو التعبيريات أو البوحيات في شعر الصحيح تنمو على ما يشعر به المتكلم كونها تعبر عن حالات نفسية بشكل جمل، تعبر عن سرور أو ألم أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت. ويمكن أن يسببها شيء يقوم به المتكلم أو المستمع، غير أنها تخص خبرة المتكلم وتجربته. فوجهة الإنجاز فيها هو التعبير عن موقف نفسي تعبيراً يتوفر فيه شرط الإخلاص.[1] وهنا سنسقط هذا التنظير على القصيدة فالتعبيريات النفسية: تظهر في حزن الشاعر المعلن والبوحيات المعبرة عن حالات نفسية هي انفعالات لا غير تتجلى في السياق النصي الحامل للأسف والألم على موت الشعر بعد المتنبي وليس موت المتنبي نفسه، ولا يمثل الفعل المتضمن في القول إلا الكشف عنها، وهي لا تكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة. والأفعال التعبيرية هي معيار للانفعالات النفسية الشعورية التي يستطيع الفرد بفضلها أن يعبر عن كل حالة نفسية بلفظ معين يدل عليها، ويستهدف المتكلم من إنجاز الأفعال التعبيرية بعامة النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء[2]، والتعبيريات

١- يول، جورج: التداولية. ترجمة قصي العتابي. بيروت: الدار العربية للعلوم. ٢٠١٠، ص٣٤.
٢- بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع. ص١١.

الاجتماعية: البوحيات الممثلة لأفعال اجتماعية تلازمها انفعالات نفسية. ويكون الفعل المتضمن في القول هو الموجد لها، ولا تكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة. والمتكلم يريد أن ينفّس بهذه القدرة التعبيرية عن ضغوطاته الداخلية، فيحس بالراحة النفسية بإبانته استجاباته الداخلية للمؤثر الدافع به إلى هذا التعبير.[١]

وضمن هذا المنحى تتحقق الإنجازية والاستعمالات الإنجازية بالاستناد إلى مفهوم التصريح على اعتبار أنه عندما يتلفظ المتكلم بعبارة معينة داخل السياق التواصلي المحدد فإنما يكون بصدد إنجاز فعل معين تتحكم فيه ظروف مقامية محددة، وعليه أكد الباحث على أن الاستعمال يفضي الالتزام بها إلى تحقيق الغايات المرجوة من الفعل الإنجازي كما قد يؤدي الإخلال بها إلى الإخفاق وعدم التوفيق، ومن ثم إنتاج ملفوظان فاشلة. وحتى يتخلص المتكلم من هذا الإخفاق لا بد من الالتزام بهذه الشروط:

لا بد أن ينفذ جميع المشاركين جميع الإجراءات بطريقة صحيحة وكاملة.

لا بد للطرف الذي يشارك في الإجراء أن يتوافر فعلياً على الأفكار والمشاعر، كما على المشاركين أن تكون لهم نية قبول التصرف المذكور. بالتبعية على المشاركين أن يتصرفوا بهذا النحو.[٢]

وكما تعاملنا بالاحتراز نفسه مع المهاد النظري الذي يتناول النظرية التلفظية التي يحيل التنظير إليها، نحدد اتجاه التحليل إلى النص الأدبي ونراقب المحتويات القضوية في تلك الأفعال في نصوص الشاعر:

إني أؤول مـــا أراه فلا أرى -عبر النبوءة - ما أرى(الصديق)

ما ثم خلف الغيب إلا حفرةٌ يثوي بها (وضاح) و(الصندوق)

١- موشلر، جاك؛ وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين. مراجعة: خالد ميلاد. تونس: سيناترا. ص٢١.

٢-جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ ، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦ م، ص ٨٨ .

غني على الروح الجريحة واعتبي إنّ (العتابا) في أساك تليق

وتهيئي للجرح وحدك، طـــالما ما ثم (أنكيدو) لديك صديق[1]

فالتعبير هنا للمصيبة التي حلت على لبنان حين تفجر مرفأ لبنان فتحقق شرط الإخلاص من خلال التعبير بصدق عن تلك المصيبة متوسلاً الأفعال الكلامية، وهي "يثوي...، في أساك تليق..."، إذ يبدأ الشاعر قصيدته بصيغة الأسى، طرفاها الشاعر ولبنان، وقد اجتمعا معاً. والمهم في النص حضور الأسف في السياق الشعري واستغلال استدعائها فيه ما يفضي إلى إنجاز فعل الحسرة. والقوة الإنجازية لها هي إظهار المرارة؛ إذ تدلّ على تعبير نفسي ناتج عن مناسبة محددة.

والواضح تحقق أقوال الأفعال التعبيرية فأبرزت الأفعال الكلامية التعبيرية هذا المفهوم الاجتماعي في سياق شعري واضح الدلالة؛ إذ إنّ الشاعر متقدم على كثير من أقرانه، وهم دونه بمراتب إلا أن المجتمع جعلته دونهم. وذلك ما أثار في خلد الشاعر إحساساً خائباً لما يشاهده من تضييع حقوقه ظلماً. فانتقد هذه الظاهرة الفاسدة المقيتة التي تنال من المدن العربية ذلك بلغة ساخطة. وكان الشاعر رهيف الحس، تستشف إنسانيته من بين انثلامات وجدانه الصادقة كل الصدق في التعبير عن اهتزازات شعوره، وكانت أصداؤها قوية في نفوس من واساهم وسلاهم عند نزول الكوارث بهم.

ومن الأفعال الكلامية التي تصف الواقع الخارجي وتنقل كل ما في الواقع من أخبار نقلاً أميناً وتصفه وصفاً دقيقاً، ليتحقق بذلك معيار الغرض الإنجازي، ومن ثم شرط الإخلاص الذي بدوره يمثل وحدة الإنجاز للفعل الكلامي الناجح؛ لأن هذه الأفعال الكلامية المخبرة عنها في الواقع. تعبّر الأفعال الكلامية عن قصد معين للمتكلم، خلال سياقها بعد إسنادها القضوي لأفعال الأقوال على وفق رؤية سيرل.

١- الديوان، ص٢٠٤.

وشعر الصحيح يتجاوب مع أفعال الكلام بصورة واسعة، يتميز بقوة إنجازها وتأثيرها في ثنايا شواهده. وقد اختلفت الأفعال الكلامية في نماذجها وأغراضها وقواها الإنجازية؛ إذ تبيّن أنّ أفعال الأقوال بعد إسنادها القضوي لها سمة بارزة في توضيح المعاني العميقة والمقصودة في الأبيات، ولها الأثر الكبير في بيان محتواها القضوي وما يزعمه المتكلم على الصعيد الإخباري، والبوحي، في إنجاز أفعالها الكلامية المرجوّة وإبلاغها الرسائل المختلفة، كما في الإخبار من الإرشاد، وإسداء النصيحة، والحكمة، والتقرير لما تعانيه ذات الشاعر من القلق، والاضطراب، والأجواء النفسية التي تنتابه من الألم، وأسر الهوى، وحثّها على الحلم، والصبر، وبيان رؤاه ومشاعره المكبوتة، وما يتطلع إليه من الطموح المفقود في الدنيا، وشعوره بالمحاصرة، وبالاغتراب الاجتماعي بين أهل زمانه؛ وفي الإفصاح عن تهنئته وتعزيته للشخصيات، وعن تفاؤله بالعفو ورجائه بالمغفرة، وعن القضايا الاجتماعية النفسية؛ وفي التصريح بالاستجابة للعبر والمواعظ، وبعذاب الهوى وآلام النفس، محاولاً تخفيف ذلك الحزن فها هو ذا يحاول إلى ذلك سبيل:

لي أن أرمم ما تهدم داخلي بذخيرتي من صوتك المعمور

لي كل ما شعرت به (طروادة) من حزنها الطاغي على (هكتور)[١]

فالخطاب الكامن في النص المفضى به عبر مجموعة الأفعال الكلامية يكون "وحدة خاصة ذات مستوى عال بالنظر إلى الجملة، ومسار البنية الكلية أو الكبرى... وفي هذا المقام يكشف "مانغونو" إمكانية الخروج عن المستوى التركيبي بين تداخل الجمل، وتوسيعها من مجال اللسانيات إلى العلوم الإنسانية الأخرى، ذلك أن الجملة إبداع وخلق ليس له حدود، وتمثل الحياة نفسها للغة في حالة الأداء والإنجاز". [٢]

---

١ – الديوان ص١٩١.

٢– حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل، تيزي وزو، ط٢، ص: ١٢٥.

ويظهر هنا استعانة الشاعر الصحصح في إنجاز أفعاله الكلامية بوسائل مختلفة كالحجج، والبراهين، وتنوع صيغ أفعال الأقوال من الجمل الخبرية والإنشائية بأساليبهما المتنوعة، والمستوى الإيقاعي استعانة بالتكرار، والهندسة العاطفية، بمنزلة قوة تأثيرية لتوصيل الفكرة وإقناع المتلقي القارئ، حتى يستشعر القارئ صدق الشاعر وإخلاصه في تجربته الشعرية. وأخيراً، اتضح أن الأفعال الكلامية من الإخبارية والطلبية والتعبيرية أكثر شيوعاً وتناولاً لما تفصح عن أفكار الشاعر ورؤاه ونوازعه النفسية.

التعبيريات نوع من أفعال الكلام التي تبين ما يشعر به المتكلم، وغرضها هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان، على أن يكون هذا التعبير حقيقياً خاصاً محققاً للبعد الإنجازي لحالة سيكولوجية محددة في الواقع، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو الاتجاه الفارغ، إذ ليس لهذه الأفعال اتجاه مطابقة، لأنه بأداء الفعل التعبيري لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، والأحرى أن صدق القضية المعبر عنها "يكون مفترضاً وشرط الإخلاص يمكن اعتباره في صدق التعبير عن الموقف النفسي[1]. وكثيراً ما وردت تلك الأفعال الكلامية المعبرة عن الحالة النفسية نذكر منها :

على شرفة في البال دانية قصوى — توافيني في الحلم كالنجمة النشوى

كأغنية في كل (نوتات) لحنها — تشاطرني قسطاً من الوجد والشكوى

تعالي إذن إن الحياة قصيدة — وليس جميلاً أن نعيش بها حشوا

تعالي نكن متن القصيدة، واتركي — سوانا على أطرافها يرتمي لغوا [2]

فالأفعال الكلامية الحاضرة في القصيدة تمثل الحالة النفسية لعلاقة الشاعر بالحبيبة والغرض الإنجازي لهذا الصنف هو التعبير عن الحالة النفسية المخصوصة

---

١ – الصراف علي محمود حجي ، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص ٦٢

٢ – الديوان، ص١٧٨.

ضمن شرط الإخلاص، وتتعلق بحالة أشياء محددة في المضمون القضوي. فالأفعال التي تلازمها انفعالات نفسية، ويكون الفعل المتضمن في القول هو الموجد لها، وتكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة. الغرض منها أن تحقق المطابقة من العالم إلى القول، توجد أفعالاً ذات آثار لياقية. ولا يمثل الفعل المتضمن في القول إلا الكشف عنها، ولا تكون موجهة إلى مخاطب بالضرورة[١]، والبحث عن المخاطب في قصائد الشاعر مسألة عسيرة، كونه يعمد إلى التنقل بين الضمائر وفقاً لأفعال كلامية تنهض في نقل البنى التي أراد أن يبوح بها بطرائق فنية مختلفة وهذا ما نجده في قصائده:

ومرض يتعلق بقلب الإنسان ووجوده.

كورونا في زمن الحُبّ:

"الفيروساتُ" رصاصاتٌ طائشةٌ
والقنّاصةُ "كورونا"
ذاتُ القبّعة السوداءِ
تُحدّق من منظارِ التصويبِ
وتُطلِقُ في كلّ جهات الأرضِ
فما تتبقّى للأرضِ جهاتْ
ساعةَ شَنّتْ غارتَها الأولى
كنتُ أعانقُ "ليلايَ"
على ضِفةِ نهر الحبّ
فأفْلَتُّ الطّلَقَاتْ
شَنّت غارتَها ثانية
فلجأتُ إلى القُبُلاتْ

١- الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص١٦٤

ورأيتُ قذائفَها تُخطِئُني![1]

وهنا نسجل تنوع الضمائر الحاضرة في الفعال الكلامية، فالقول إلى العالم، ومن العالم إلى القول، فجاءت الأفعال الكلامية هنا في القول كي تستوعب "البوحيات النفسية"، والتي نعتقد أنه بالإمكان أن تنضوي ضمن المطابقة من العالم إلى القول أيضاً. فالأفعال الكلامية لا يقتصر دوره فقط على ربط وإيصال المفاهيم والمعلومات إلى الجانب الآخر من المتلقين فحسب؛ بل على العكس من ذلك يقوم بدور أوسع وأكبر من ذلك بكثير؛ أي: يقوم بالاهتمام بمغزى الألفاظ اللغوية وتعابيرها، من خلال تحويل الأقوال المجردة والسطحية، إلى أفعال كلامية ذات معاني وسمات قصدية، يظهر مدلولها وأثرها على الواقع اللغوي.

والأفعال الكلامية تنطلق من منظور إيحائي غير قابلة أو خاضعة لمعيار التنظير اللفظي فقط، بل تقوم بدور بارز وفعّال في إنجاز وضعيات جديدة، بمعنى تغيير حالة الأشياء في الكون من خلال تحقيق فعل على أرض الواقع، أي: أنّ القوة الإنجازية قد تتعدد بحسب سياق المقام، ومقاصد المتكلم.

على كل الأحوال يظل التمظهر الصوتي للفعل الكلامي كونه فعلاً تصويتياً يتمثل في إصدار أصوات اللغة وإنتاج وحداتها أو مقاطعها الصوتية التي تأتلف منها الكلمات المعجمية التي تنبع من اللغة التي تعتمد على فعل دلالي أي إحالي يرتبط بمعاني تلك الألفاظ المتضامنة معنى ومرجعاً، ومن غيرها تخلو الكلمات من مضمونها فالمعنى والمرجع (التسمية والإحالة المرجعية) ذاتيهما قد قصد بهما في هذا الموضع أفعال تابعة للإنجاز حال إيقاع وحصول الفعل الخطابي، وعندما "تجتمع هذه الأفعال الثلاثة سيكتمل عندها في الفعل الكلامي فعلان هما: فعل الإنجاز، والفعل الآخر هو فعل التأثير بالقول".[2]

---

١ – الديوان : ص١١٣.

٢ – ينظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي: ص٤١.

لهذا ظلت الأفعال الكلامية مركز الدراسات التداولية، كونها تدرس علاقة العلامات بمستعمليها وظروف استعمالها، وتأثير هذا الاستعمال في البنية النصية العميقة، والتغير الذي يحدثه هذا الاستعمال على البنى اللغوية للنصوص والخطابات، فهي منهج يسعى لفهم وتحليل الخطاب وفحواه، "فكل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي. ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخَاطَب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء ما".[١]، والهدف الذي يسعى نحوه الشاعر هنا الإخبار عن سطوة هذه الجائحة للبلاد.

عن هذه الحرب الدائرة.
صوتٌ يدعونا أنْ نقفَ اليوم أمام المرآة!
وكأنّ حقيقتَنا الأولى
عادتْ من رحلتِها القُصوَى
خلف حدودِ الذاتْ
ها نحنُ نُربّي الأُلفةَ في العُزْلاتْ
ها نحنُ نُربّي
في غاباتِ النفسِ الحسراتْ
والقنّاصُ المُبْهمُ ما زالَ
يُصَوّبُ عبر جهات الأرضِ
فما تتبقّى للأرضِ جهاتْ
ها نحنُ ضحايَا ما ليسَ يُرى
نحنُ ضحايا مجزرةٍ

١ – الصحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص ٤٠.

ما زال يديرُ مكائنَها المجهولُ
فندخلُ تاريخَ متاهتِنا
من باب اليأس
ومن باب الخوفِ
ومن باب الموتِ
وتنغلقُ الأوقاتْ

الفعل الكلامي	الصيغة	الطريقة التعبيرية	الحالة المراد التعبير عنها
صوتٌ يدعونا/ أنْ نقفَ/ نُرَبّي الأُلفةَ ما زالَ /يُصَوّبُ/عادتْ تتبقّى للأرضِ/ يُرى/ يديرُ مكائنَها/ وتنغلقُ الأوقاتْ	مضارع نسبة ٩٠% ماضي نسبة١٠%	الأساليب الإخبارية المتصلة بالماضي القريب المستمر (مازال)	ما حل بالأمة من الهلع والخوف.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن الأفعال اللغوية غير المباشرة في الأفعال الكلامية هي نفسها الاستلزام الحواري الذي جاء به غرايس؛ ألا وهو" المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة وأن تدل على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي أو معناها الحرفي، أي ما يرمي إليه المتكلم من معنى ضمني يتجاوز المعنى الظاهري الأصلي إلى معنى آخر. والمتمثل في معرفة كيف يتسنى للمتلقي فهم المراد؟ إذا كان المتكلم بطريقة غير مباشرة حين يقول شيئاً ويريد في الوقت نفسه شيئاً آخر...". [١]

لقد تغيرت النظرة إلى اللغة، فلم يعد ينظر إليها على أنها نظام من الأدلة مستودع في أدمغة المتكلمين، نظام تندرج فيه هذه الأدلة ضمن علاقات تركيبية

١- الجراح عامر خليل ، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، دار سنابل، تركيا اسطنبول، ط – ١ ، ١٤٤١ ه- ٢٠١٩ م، ص ١٧٧.

معينة خاصة بكل لسان، بل أنها نشاط يتحقق في وضعية خطابية تبادلية، ومفيدة بقيود خاصة.[١] التعبيريات نوع من أفعال الكلام التي تبين ما يشعر به المتكلم وهذا ظاهر من إحساس الشاعر بتلك المأساة، وغرضه هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان إزاء ما يحدث من موت، وهذا ما يذكرنا بنازك الملائكة في قصيدتها (الكوليرا)، على أن يكون هذا التعبير حقيقياً خاصاً ناقلاً لحالة سيكولوجية محددة في الواقع، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو الاتجاه الفارغ، إذ ليس لهذه الأفعال اتجاه مطابقة، لأنه بأداء الفعل التعبيري لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، والأحرى أن صدق القضية المعبر عنها يكون مفترضاً وشرط الإخلاص يمكن اعتباره في صدق التعبير عن الموقف النفسي الذي سيصبح متداولاً [٢]. تعد نظرية أفعال الكلام من أبرز مباحث التداولية، فهي تحتوي على قوة إنجازية تفهم داخل السياق، كما أنها تستمد ماهيتها من مجموعة العلوم أبرزها الفلسفة التحليلية. ويعتبر أوستين أول من أرسى نظرية الأفعال الكلامية وواضع الأسس والمعالم الأولية لها واستطاع أن يحدد المصطلحات والمفاهيم، إلا أنه لم يتوصل إلى هدفه وهو وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، ليتبنى تلميذه سيرل هذه الفكرة في محاولة لتطويرها، وقد عدت نظريته المرحلة الأساسية التالية للمرحلة الانطلاقية عند أوستين.

إن الأفعال الكلامية، وهي الإخباريات الناقلة للوظائف التداولية خلاله على الوظائف التداولية للفعل الكلامي التقريري، ذلك أن المتكلم لواقعة ما من خلال قضية محددة يعبر بها عن هذه الواقعة؛ أي تعهد المتكلم من خلال نطوقه بكون شيء ما حقيقة واقعة، بالإضافة إلى تعهده بصدق القضية المعبر عنها، أي أن الغرض الإنجازي هنا هو التقرير، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف من وإلى

١- خولة طالب الإبراهيمي.. مبادئ في اللسانيات. الجزائر: دار القصبة للنشر٢٠٠٦.. ١٥٨

٢- الصراف علي محمود حجي، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص٦٢.

الكلام، "وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها"[١]، فهل تحقق الصدق في نقل الوقائع عند الشاعر جاسم الصحيح، وتمظهرت وظيفة اللغة الأساسية في إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، وتكفلت بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية.[٢] أي ما يرمي إليه المتكلم من معنى ضمني يتجاوز المعنى الظاهري الأصلي إلى معنى آخر، فالظاهر تحت اسم الأفعال الكلامية غير المباشرة، المتمثل في التعرف على كيفية فهم القصدية، حسب تغير الطريقة إن كانت مباشرة أو غير مباشرة، حين يريد إيصال الرسالة. وكثيراً ما قال جاسم الصحيح شيئاً وأراد شيئاً آخر: لننظر في قصيدة (نسيان):

عودي؛ خذي ما تبقى منك وابتعدي! نسيتِ أطفالك الحلوين في جسدي

تناسلوا في جحيم من عواطفه تكاثروا في الخلايا منه، والغدد[٣]

فتكون اللغة هي وسيلة التواصل الإنساني للتعبير عما يكمن في ذهن الإنسان من أفكار وأشياء يريد التصريح بها إما ليكون فعلاً ينجزه بالقول، وإما ليؤثر في المخاطب تأثيراً فعالاً من خلال ما ينق به. وقد تصدّى العلماء من اللغويين والبلاغيين والفلاسفة والأصوليين وغيرهم لدراسة اللغة من الجوانب المختلفة للكشف عنها وإيصال رموزها إلى الناس لتفيدهم في التعبير عن خلجات أنفسهم. والتداولية من المناهج اللسانية التي تسعى إلى دراسة استعمال اللغة في المواقف المختلفة، وذلك من خلال الاهتمام بالمتكلم والمخاطب والقصدية الكامنة في المقولات. فإذا أمعنا النظر في التداولية عامة والأفعال الكلامية خاصة، رأينا أنها تتجذر في التراث العربي؛ إذ إن الفلاسفة والأصوليين والبلاغيين صبّوا جلّ

١- الصراف علي محمود حجي، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣١ - ٢٠١٠، ص ٦١

٢- عمر بلخير. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزائر: منشورات الاختلاف. ٢٠٠٣، ص١٥٥.

٣- الديوان: ص١٥١.

عنايتهم على ظاهرة الأفعال الكلامية مما يندرج ضمن مباحث الخبر والإنشاء. وبما أن القرآن الكريم يعتبر مصدراً هامّاً للكشف عن المظاهر اللغوية، انصب اهتمام العلماء والباحثين عليه قديماً وحديثاً؛ حيث حاولوا عبر المناهج والعلوم المختلفة عليه؛ ليظهروا إعجازه للبشرية.

أما أهمية النظرية الفعال الكلامية وضرورته فهي تأتي أنّ أسلوب الأفعال التعبيرية هي معيار للانفعالات النفسية الشعورية التي تمكّن المتكلم أن يعبر عن حالاته التعبير وعن الحالة النفسية التي يخصّصها شرط النزاهة النفسية بألفاظ محددة، تعد شرطاً ضرورياً وبهذا الشرط الجوهري تختلف الأفعال التعبيرية بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصّصها المحتوى القضويّ عن الأفعال الكلامية الأخرى التي يوظفها المتكلم لإنجاز شيء ما وتحقيقه، وحيث لا توجد مترادفة في التعبيريات تعبر عن الحالة النفسية للكلمات وحيث يُسند المحتوى خاصة إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب، أما شروط الملاءمة عند أوستن فهي تنحصر في أداء الكلام في ظروف خاصة مع أشخاص محددين في إطار سليم كامل بعيد عن الغموض والالتباس، فإذا لم يراع أحد المشاركين المتكلم والمخاطب هذه الشروط فسوف يكون الأداء ناقصاً غير مكتمل. ليأتي شرط المحتوى القضوي: فعل في المستقبل مقلوب من المخاطب فالمخاطب قادر على إنجاز الفعل، والمتكلم على يقين أن المخاطب يقدر على إنجاز الفعل، وصولاً لشرط الإخلاص: المتكلم يريد حقاً من المخاطب أن ينجز الفعل المقلوب أي محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل المقلوب[١]، فلا شك أن الفعل الكلامي عنصر فعال في العمليات التداولية، إذ هو كل لفظ يقوم على نظام ظاهر دلالي إنجازي باتجاهين مباشر وغير المباشر وله قوة تأثيرية على معاني الجمل. وتلحظ هذه القوة بشكل متكرر في قصائد الشاعر جاسم الصحيح:

تتثال في صور الطبيعة حرة عذراء خارج قبضة البرواز
عبرت عليّ (مقام دشت) فانثني قلبي يغنيها (مقام حجازي)

١- ينظر: نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص٦٤.

فتحت لأشواقي (خليج) شعورها فدخلته، والشعر كان جوازي![1]

وعلى هذا المنوال يستمر جاسم الصحيح في إبداعه المنظوم، حيث يعتمد على أفعال منطوقة تسعى إلى تحقيق أغراض إنجازيه ولها أهداف تأثيرية، عند طريقها نعرف ردود فعل المخاطبين. مستخدماً أنواعاً من الجمل ذات الصيغ الخبرية، وبعد ذلك وسع مفهومها ليشمل جميع الجمل التي تشمل الصدق والكذب، ويكون بذلك العمل قد أنشأ فلسفة وهذا ما يدل على تلك الأغراض التعبيرية من الأفعال الكلامية حين تتغير "الوظائف التواصلية الإبلاغية حسب تعبير الوظيفيين المعاصرين"[2]، وهذا الصنف من الأفعال يشمل كل ما يعبّر به المتكلم عن مشاعره ساعياً لتحقيقها بقوة إنجازيه وتأثيرية؛ بالانتقال من الفعل المباشر الحرفي إلى الفعل غير المباشر الذهني، إضافة إلى أنه أجرى تعديلات مهمة على تصنيفات للأفعال الكلامية اللغوية، كما أنه اهتم بالمعنى في الجمل، والمحتوى القضوي الذي تحتوي عليها. وهنا في هذه القصيدة نتلمس هذا الاهتمام:

تقول التواريخ:
إن ذراع الحضارة تمتدّ
مقدار ما حفرت من قبور الأمم!
تقول الحضارة:
ليس الشعوب سوى رقم زائل
في سجل العدم
تقول الشعوب:
وماذا سيحدث بعد زوال الرقم؟!
يقول الزوال:

١- الديوان: ص١٧١.

٢- مدور، محمد: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر' الجزائر، ٢٠١٤، ص٣٤.

سيبقى على الأرض إرث الألم![١]

فالغرض الإنجازي فيها هو وصف واقعه معينة من خلال عدة أغراض. أفعال هذا الصنف تحتمل الصدق أو الكذب. (يقول) وغلبنا عليها الصدق. في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها. غرضها الإنجازي المباشر الحرفي: التأكيد والوصف، وهذا ما لاحظناه في أسلوب الصحيح من خلال التأويل والقرائن. فالأفعال الكلامية التقريرية فيها ترصد حالة موجودة في الفعل. والقوة الإنجازية موجودة بالقوة أو الفعل، ولا يهدف الفعل الكلامي الإنجازي إلى إنجاز ما سوى إطلاع القارئ على واقعة معينة الذكريات أثناء وصف الكاتب لمذكراته. أن الأفعال المباشرة الحرفية غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، ويمكن تقسيم الأفعال الإنجازية التي يضمها هذا المجال – أي التعبيريات الاجتماعية التي تتصل بوجدان المتكلم، لكنها تقتضي غالباً مشاركة من المتلقي. والتعبيرات النفسية التي تخص وجدان المتكلم وتعبر عن حالته النفسية ومشاعره، تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص. بعيداً عن العلاقة بين الكلمات والعالم في التعبيريات؛ فالكلمات أفعال تعبيرية منجزة تعبر عن شعور الطنطاوي في كتاباته السابقة، وشرط الإخلاص يتحقق فيه عن طريق الصدق، وربما يجد الباحث نفسه أمام إعادة وتكرار لما ذكره غير مرة ولكن ذلك سببه توحد الآراء النظرية حول هذا المصطلح. لتصبح عملية تركيب الكلام ومقتضى الحال وهو وضع الكلام المناسب في المقام المناسب، فالملفوظات التقريرية لا فرق بين الإنجاز أو التقرير، بمعنى أن المرسل حين يتلفظ بتقرير فهو ينجز حدثاً. وبعد تأكده من هذه الفرضية عمل على التفريق بين الملفوظات الإنجازية الابتدائية والملفوظات الإنجازية التصريحية. على اعتبار أن الأولى يمثلها ذلكم النوع من العبارات التي لا يتم التصريح فيها بالفعل المنجز؛ أما التصريحية فهي التصنيف لوجود نوع من التداخل بين هذه العائلات وانعدام حدود واضحة تفصل بينها مرحلة إنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه.

١- الديوان: ص٣١.

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الكرام أفضل الصلوات وأتم التسليم، ثم أما بعد ،،

فقد انتهيت من هذه الدراسة التي تُعد محاولة يسيرة لدراسة الفعل الكلامي في شعر شاعر مكثر ذي ديوان كبير، ولا يمكن الإحاطة بتراثه الشعري كله فيها بطبيعة الحال؛ لذا فهي إشارة مني ودعوة للباحثين الى دراسة شعره من المنظور الذي اتخذته وسيلة في دراستي، فكل قصيدة يمكن أن تكون مجالاً رحباً للإبحار في شعر جاسم الصحيح بالاعتماد على التداولية منهجاً في الدراسة، والتركيز على الأفعال الكلامية بوصفها مفاتيحاً تستنطق النص، وتكسر الحجب فيه.

ومن خلال التحليل الفعلي للقصائد تستخلص القوى والأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية في شعر جاسم الصحيح من خلال السياق الشعري؛ ولذلك نجد الأفعال ترد بأسلوب ما ولكننا نفهم من ورائه معاني ضمنية مختلفة. في المقصدية المتجسدة من خلال استراتيجيات التواصل المذكورة في النصوص الشعرية تتجلى من التجارب العميقة المستوحاة من حياته، وما عاناه فيها من آلام وخيبة أمل، كل هذا كان مقدماً بلغة خاصة بنية الفعل الكلامي في شعره يميل إلى النظر إلى العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الشاعر بشعره، فلا يمكن له أن يكون بعيداً عن المؤسسة الاجتماعية التي تنتجه، وإذا خرج فإنه يتعلق بموقف الشاعر الاجتماعي أو الاعتباري والمخاطب كذلك أو هما معاً؛ لأنه بنية معجمية في طابع نحوي فيها دلالة يؤديها الصوت من خلال الفعل الصوتي، والفعل اللفظي التأكدي، والفعل الإبلاغي أو الدلالي.

وأنجز شاعرنا عبر الإخباريات أو البوحيات معاني مهمة واقعة من خلال قضية يعبر عنها، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، واتجه نحو المتلقي إلى فعل شيء ما، ثم التعبيريات التي عبر بها عن الموقف النفسي الذي يحصل بسبب الواقعة التي تعبر عنها القضية، وتنوعت الأفعال الكلامية في قصائده بين

التقريرية والتوجيهية والتعبيرية والإلزامية والإعلانية. لكن التركيز كان على البوحية منها تستخلص القوى والأغراض الإنجازية للأفعال الكلامية من خلال السياق ترد بأسلوب ما ولكننا نفهم من ورائه معاني ضمنية مختلفة.

بعد هذه الرحلة التداولية مع الأفعال الكلامية قصائد الشاعر جاسم الصحيح ، توصلنا إلى مجموعة من النتائج النظرية والتطبيقية يمكن إجمال أهمها في العناصر الآتية:

-تمثل التداولية منهجاً لغوياً يعنى بدراسة استعمال اللغة، وذلك بالتركيز على الأقطاب الثلاثة التي تحكم الخطاب المتكلم/ المتلقي/ الظروف الخارجية.

-تعد نظرية أفعال الكلام من أبرز مباحث التداولية، فهي تحتوي على قوة إنجازية

تفهم داخل السياق، كما أنها تستمد ماهيتها من مجموعة العلوم أبرزها الفلسفة التحليلية. ويعتبر أوستين أول من أرسى نظرية الأفعال الكلامية ووضع الأسس والمعالم الأولية لها واستطاع أن يحدد المصطلحات والمفاهيم، إلا أنه لم يتوصل إلى هدفه وهو وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، ليتبنى تلميذه سيرل هذه الفكرة في محاولة لتطويرها، وقد عدت نظريته المرحلة الأساسية التالية للمرحلة الانطلاقية عند أوستين.

- إن البلاغة العربية والتداولية يتقاطعان في قضايا عديدة، ويرجع ذلك لاشتراكهما في

دراسة اللغة في الاستعمال. وتتجسد الأفعال الكلامية عند الغرب في الوصف والإنجاز، بينما عند العرب تتمثل في الخبر والإنشاء.

- جوهر الأفعال الكلامية هو قسم الأفعال المتضمنة في القول، وعليه فهو الذي استحق عناء الدراسة كما فعل سيرل.

وختامًا نسأل الله ــ تعالى ــ قبول هذا العمل، وأن يُعلمنا ما جهلنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .

المصادر والمراجع

- آن روبول، جاك موشلار، ترجمة الدكتور سيف الدين دغفوس، والدكتور محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- الباهي، حسان، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،٢٠٠٤م.
- بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- بلخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزيرة: الاختلاف. ٢٠٠٣م.
- بيرم، عبد اللّه: التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي. عمان: دار مجد لاوي. ٢٠٠٩م.
- الجراح عامر خليل ، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، دار سنابل، تركيا اسطنبول، ط – ١ ، ١٤٤١هـ- ٢٠١٩ م.
- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١ ، ١٤٣٧ هـ- ٢٠١٦ م.
- جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، الأمل، تيزي وزو، ط٢.
- خولة طالب الإبراهيمي.. مبادئ في اللسانيات. الجزائر: دار القصبة للنشر٢٠٠٦م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، الدكتور أحمد المتوكل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.
- ديوان طيور تحلق في المصيدة، لجاسم الصحيح، دار صوفيا للطباعة والنشر، الكويت، ٢٠٢١م.

- الصحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.
- الصراف علي محمود حجي، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية في معجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب.
- عكاشة، محمود: النظرية البراغماتية اللسانية التداولية "دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، ط ١ ، ٢٠١٣ م.
- عمر بلخير. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزائر: منشورات الاختلاف. ٢٠٠٣م.
- مدور محمد، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، دراسة تداولية، أطروحة دكتواره مخطوط إشراف جودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٣ –٢٠١٤ م.
- مفتاح محمد: تحليل النص الشعري، استراتيجية التناص، ط ٣. المغرب. المركز الثقافي العربي. ١٩٩٢م.
- موشلر، جاك؛ وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، مراجعة: خالد ميلاد. تونس: سيناترا.
- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الجامعية، مصر، ٢٠٠٦م.
- نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٨م.
- يحياتن محمد، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د.ط، د.ت.
- يول، جورج: التداولية. ترجمة قصي العتابي. بيروت: الدار العربية للعلوم. ٢٠١٠م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٠١٣
٢-	Abstract	١٠١٤
٣-	المقدمة	١٠١٥
٤-	التعبيريات (البوحيات): Expressives	١٠١٧
٥-	خاتمة:	١٠٤٠
٦-	المصادر والمراجع	١٠٤٢
٧-	فهرس الموضوعات	١٠٤٤